وحين تعرض الشهيد / سيد قطب فى ظلاله لهذه الآيات وضح هذا جيدا ، أنقل عنه ما كتبه فى هذا الشأن — الذاتية الإسلامية .

فقال : (.. إن الاختصاص والتميز ضروريان للجماعة المسلمة : الإختصاص والتميز فى التصور والاعتقاد .. فى القبلة والعبادة .

ومن هنا .. كان النهى عن التشبه بمن دون المسلمين فى خصائصهم ، التى هى تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة .. كالنهى عن طريقتهم فى الشعور والسلوك سواء ، ولم يكن هذا تعصبا ولا تمسكا بمجرد شكليات ، وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات ، كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة .

وهذه البواعث هى التى تفرق قوما عن قوم ، وعقلية عن عقلية ، وتصورا عن تصور ، وضميرا عن ضمير ، وخلقا عن خلق ، واتجاها فى الحياة كلها عن اتجاه .

ثم هو نهى عن التلقى من غير الله ومنهجه الخاص الذى جاءت هذه الأمة لتحققه فى الأرض .. والجماعة المسلمة قامت لتكون فى مكان القيادة للبشرية ، فينبغى لها أن تستمد تقاليدها — كما تستمد عقيدتها — من المصدر الذى اختارها للقيادة .. والمسلمون هم الأعلون ، وهم الأمة الوسط ، وهم خير أمة أخرجت للناس .

ولقد ضمن الإسلام للبشرية أعلى أفق فى التصور ، وأقوم منهج فى الحياة ، فهو يدعو البشرية كلها أن تفىء إليه ، وما كان تعصبا أن يطلب الإسلام وحدة البشرية على أساسه هو لا على أى أساس آخر ، وعلى منهجه هو لا على أى منهج آخر ، وتحت رايته هو لا تحت أية راية أخرى . .

والجماعة المسلمة التي تتجه إلى قبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الإتجاه، إن القبلة مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة في الصلاة . فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز . رمز للتميز والإختصاص ، تميز التصور ، وتميز الشخصية ، وتميز الهدف ، وتميز الإهتمامات ، وتميز الكيان ... والأمة المسلمة — اليوم — بين شتى التصورات الجاهلية التي تعج بها الأرض جميعاً ، وبين شتى الأهداف الجاهلية التي تستهدفها الأرض جميعاً، وبين شتى الإهتمامات التي تشغل بال الناس جميعاً ، وبين شتى الرايات الجاهلية التي ترفعها الأقوام جميعاً .. الأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا يتلبس بشخصيات الجاهلية السائدة ، والتميز بتصور خاص للوجود والحياة لا يتلبس بتصورات الجاهلية السائدة . والتميز بأهداف وإهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور . والتميز براية خاصة تحمل اسم الله وحده ... وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله تعالى لها ، إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي أختاره لها ، واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هي التي أختارها الله لها ، وأصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها : والله يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحدها ..)[1] .

من فقه المشهد القرآني السابق :

(١) التمرين والتدريب — على الدوام — على السمع والطاعة لصوت الحق في التوجيه والقيادة .

---

(١) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب جـ ١ ص ١٢٧ وما بعدها (بتصرف) ، ط التاسعة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الشروق

(ب) الإنسلاخ بالمرة وبدون مجادلة من نظم وتشريعات أهل الجاهلية، وبخاصة المعاصرين .

(جـ) العودة إلى الينابيع الأصيلة، والإرتماء فى أحضان الحق وشغفه، والمشى على الصراط السوى . دون مجادلة .

(د) والجماعة الإسلامية حين مسيرتها المتواصلة ستواجه السفهاء، وهم يضعون العقبة تلو الأخرى، فلتمض قدما فى طريقها، ملبية لنداء ربها، دون ما تباطء أو إنحراف . أو مناقشات أو تضييع وقتهم فى فراغ التقنين لأحكام الله تعالى . وما شابه ذلك، « فعن عبدالله بن عمر — رضى الله عنهما، أنه قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبه»(١) فأنت واجد هنا الإستسلام المطلق لأحكام الله تعالى الفورى .. دون إجتماع لجان .. إلخ .

(هـ) والجماعة الإسلامية فى هذا على القمة، فلتسرع الخطى إلى الأمام، وهى ملتزمة ومشدودة إلى خصائصها وذاتيتها، معتصمة بحبل الله، والعروة الوثقى التى لا انفصام لها .

(و) إن الجماعة الإسلامية يهفوا قلبها المحاط بجسدها إلى الكعبة فى اليوم الواحد أكثر من خمس مرات، وهذه دروس خمسة يومية . مغزاها العميق التوحيد والوحدة على كتاب الله تعالى، والإنتباه جيداً من

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة، باب : ما جاء فى القبلة جـ١ ص ٤٠٢، ورواه مالك فى الموطأ، كتاب القبلة، باب : ما جاء فى القبلة ص ١٣٨، دار الشعب

الإتجاه شرقاً أو غرباً . وإلا أصابها التقهقر ، وظلت نفسها ، وأجارت عليها غيرها ، وأمست أمة ضائعة لا صوت لها فى دنيا الناس .

(ب) ومسألة الأذان :

نجده قد شرع للإعلام بالصلاة[1]، ولكن كان فى الوقت ذاته مخالفاً لما عند اليهود والنصارى ، وما كان عندهم فى شأن الإعلام آنذاك وما اليهود والنصارى إلا نماذج قد كانوا موجودين — بتشريعاتهم ونظمهم — وبارزين فى هذا العهد المبكر للإسلام . . وأيضاً ما هما إلا نماذج للتأكيد على مخالفتهما ، ومخالفة غيرهما فى كل زمان ومكان ، وعلى جميع الأحوال، ومسألة الأذان ماهى إلا تقعيد وتقرير لمبدأ الإستقلالية والذاتية الإسلامية ، ومخالفة لكل ما يستجد من نحل ومذاهب وأفكار، وأبحاث ودراسات وعادات وتقاليد ونظم وقوانين الخ ، جاء «عن أنس — فى الاذان قوله — ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلال أن يشفع الاذان وأن يوتر لإقامة»[2] .

وقد ذكر ابن حجر رواية تقول « عن روح بن عطاء عن خالد عند أبى الشيخ وبلفظه : فقالوا : لو اتخذنا ناقوسا فقال رسول الله ﷺ : ذلك للنصارى ، فقالوا : لو اتخذنا بوقا ، فقال — ﷺ : ذلك لليهود ، فقالوا : لو رفعنا ناراً ، فقال — ﷺ : ذلك للمجوس»[3] . وهذا عزم

---

(١) ويؤخذه أن للإسلام منهاجه الخاص فى الإعلام بصفة عامة ، فلا يعلن إلا عن الحق بصوت الحق ..

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : أبواب الاذان جـ ٢ ص ٦٢ ، وأخرجه مسلم فى كتاب : الصلاة ، باب بدء الاذان جـ ٤ ص ٧٥ ، ٧٦

(٣) فتح البارى لابن حجر جـ ٢ ص ٦٣

واضح — كما ترى — من سيدنا رسول الله ﷺ — والذى لا ينطق عن الهوى — على أن يتركنا على المحجة البيضاء، وعلى الإستقلال والتحرر من تقليد غيرنا فى كل شأن من شئوننا .

(ج) عيد الفطر والاضحى :

هما من خصوصيات الامة الإسلامية ، ومشروعيتهما كان ضمن إرادة هوية الجماعة الإسلامية وإستقلالها ، ومخالفتها لكل أعياد اليهود والنصارى ، ويسرى هذا — ولا ريب — على كل أعياد أهل الجاهلية فى كل عصر ، وفى كل بيئة . . قال رسول الله ﷺ « . . إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا »[1] .

« وعن أنس بن مالك قال : كان لأهل الجاهلية يومان فى كل سنة يلعبون فيهما فلما قدم النبى ﷺ المدينة قال : كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما : يوم الفطر ويوم الاضحى »[2] .

وقد دل هذا بكل تأكيد على أن لنا عيدين خاصين بنا ، كما أنه يدل بكل تأكيد أننا — كمسلمين — لا شأن لنا بأعياد أهل الجاهلية — القديمة منها والمعاصرة — ولا ننخدع بمقولاتهم وزخارفهم، وقد قال ابن حجر (واستنبط منه كراهية الفرح فى أعياد المشركين ، والتشبه بهم ، وبالغ

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : العيدين ، باب : سنة العيدين لأهل الإسلام جـ٢ ص ٣٥٦ .

(٢) رواه النسائى فى كتاب : صلاة العيدين جـ٣ ص ١٧٩ ، ١٧٠ ، دار القلم .

الشيخ أبو حفص الكبير النسفي من الحنفية فقال : من أهدى فيه بيضة إلى مشرك تعظيما لليوم فقد أشرك بالله تعالى)[1] .

وهكذا أينما تولى الامه الإسلامية وجهها ، في كل تشريع تجده في الإسلام ، وهو في الوقت نفسه يحررها من براثن الجاهلية ، ويعتقها من تبعيتها البغيضة . . ومعلوم أن الإنعتاق من فكر وثقافة ونظم وقوانين أهل الشرك — سواء من الغرب أم من الشرق — يجعلهم يموتون غيظا ، ولقد حدث في حياة رسول الله ﷺ وهو يضع للأمة المسلمة قواعد وضوابط منهاج حياتها أن اغتاظ اليهود ، وقالوا في حنق : ما يريد هذا الرجل — محمد ﷺ — أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه[2] .

إن حظوظ النفوس والشهوات — عند المسلمين — لا تتقدم على أحكام الشرع ، بل هي دائرة معها حيثما دارت كما قال ابن حجر[3] .

إن النصوص القرآنية ، والنبوية ، وآثار السلف الصالح ، تؤكد ذاتيتنا ، واستقلالنا الفكري والتشريعي والتنظيمي والسلوكي ، وتلح على المسلمين كل في موقعه ، وتطرق سمعه في كل حين ، أن يستمسك بتعاليم الشريعة الإسلامية ، وينهل من ينابيعها العذبة .. وإذا تحقق ذلك أعز الله المسلمين ، وزادهم من فضله ، وفرج كروبهم . وألف بين قلوبهم ، وأصلح بالهم ، ونصرهم على أعدائهم .

---

(١) فتح الباري جـ ٢ ص ٣٥٤

(٢) جزء من حديث رواه أبو داود عن أنس في كتاب : النكاح ، باب : في بيان الحائض ومباشرتها جـ ٣ ص ٣٥٠ ، دار إحياء التراث العربي .

(٣) فتح الباري لابن حجر جـ ٩ ص ٩٢

الآثار المرة لمخالفة منهج الله تعالى :

وإن المسلمين إذا تخلوا عن شريعتهم الغراء، وبعدوا عن ذاتيتهم الإسلامية ، وذهبوا وراء كل ناعق ، أصابهم الذل والتخلف والحرمان ، اجتاحتهم الهموم ، وأحاطت بهم الهزائم ، وخسروا مواقع كانوا هم أصحابها ، فضلا عن خسرانهم آخرتهم ، التى إليها يسعون . ويكفى أن أذكر هذه الآيات ، يقول تبارك وتعالى « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى »[1] .

النصر الثانى : شمولية الإسلام :

إذا كان للإسلام ذاتيته واستقلاله فى كل منحى من مناحى الحياة المتنوعة ، فإنه — مع هذا — دين شامل وجامع ، وما ترك أمرا من الأمور إلا وضع له الأسس والقواعد التى يجب أن يدور المسلم فى فلكها ، ويلتزم بها . . إن الشرع الإسلامى قد استوعب الحياة كلها ، فهو شرع لكل زمان ، ولكل مكان ، ولجميع أنواع البشر . . ورسالة الإسلام تحتوى الإنسان وتحتضنه فى كل شأن من شئونه قل أو جل . . لقد اهتم بالإنسان — مثلا — من حيث وجوده ، وغاياته ، ووسائله فى الحياة ، وأيضا بآماله وآلامه ، ووضح له علاقته بخالقه ، وعلاقته بالكون كله ،

---

(١) سورة طه الآيات من ١٢٤ : ١٢٧ وانظر : تفسير فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير حـ ٣ ص ١٦٨ وما بعدها

وعلاقته بأخيه الإنسان — أيا كان شكله وعقيدته — ونظم حياته من قبل مولده ، وحتى بعد مماته ، فاشتمل على الدنيا والآخرة .

ويلاحظ فى شمولية الإسلام عدة نقاط وجب إبرازها هنا :

• إن الإسلام لا يقبل — مع شموليته — الترقيع ، بمعنى أنه لا يسمح لأحد أن يأتى من الشرق أو من الغرب بتشريعات ونظم وقوانين ودمجها أو خلطها بالتشريعات الإسلامية ، ويلوى أعناق الجماهير المسلمة على الأخذ بهـا — فيكون الإلتباس ، والتعتيم ، والتشويش على النظام الإسلامى .. ومن ثم يتهم الإسلام — بعد ذلك — بالقصور ، وعدم الوفاء منه بمتطلبات الحياة ، ويقف الإسلام دائما واتباعه فى موقف الدفاع ويدور المسلمون فى حلقة مفرغة ، وهذا وضع خطير — ويجب أن ينتبه إليه دعاة الإسلام — إن الإسلام بما فيه من خصائص يجب أن يكون فى موقف يغزو الأوكار الجاهلة الغضة ليطهرها . . وبخاصة أن الشريعة الإسلامية — كما يقول الشهيد عبد القادر عودة — (تتميز بصفتى الكمال والدوام ، وأن نصوصها من العموم والمرونة تستعصى على التبديل والتعديل)[1] ، وإذا كان الإسلام هكذا لا يقبل — بحال — الترقيع فإنه فى الوقت ذاته لا يقبل تطبيق جزئية — من جزئياته — ويترك أخرى ، وذلك لأنه نظام متكامل ، منسجم مع بعضه البعض ، ومتناغم مع فطرة الإنسان .

• إن الإسلام فى تشريعاته كلها يعطى للجسد حقه ، وللعقل حقه ، وكذا للروح ، بمعنى : أن التشريعات الإسلامية تحتوى الإنسان وتستوعبه

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية . للشهيد عبد القادر عودة ص٢١٢ ، المختار الإسلامى (بدون تاريخ)

من الناحية الجسمية والروحية معا ، وتتجاوز دنيا الانسان إلى آخرته ، أى أنها تقوم على التوازن والإنسجام .

• إن النظام الإسلامى سهل وميسر .. وليس فيه أدنى صعوبة للتنفيذ والتطبيق ، كما أنه مبنى على التيسير ، ورفع الحرج . . بل إن رسالة النبى ﷺ قائمة على أساس الرحمة ، يقول تبارك وتعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»(١) . وأضيف هنا حديثا تكفى دلالته على هذه السهولة . وهذا اليسر — حتى فى عبادة الله تعالى — فعن أبى مسعود رضى الله عنه قال : أتى رجل النبى ﷺ فقال : إنى لأخر عن صلاة الغداة — صلاة الصبح — من أجل فلان مما يطيل بنا قال : فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضبا فى موعظة منه يومئذ قال : فقال : يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة »(٢) .

وبعد هذا يقول المعوقون لتنفيذه إن فيه صعوبة ، وكيف يكون هذا وقد طبق بكل حذافيره فى عهد رسول الله ﷺ ، وكذا عهد الخلفاء الراشدين وأثمر أطيب الثمار .

• إن الإسلام — بنظافة كـكل — يقود أتباعه إلى الخير المطلق ، من استخلاف وتعمير ، بما ينفع البشرية ، ويقودهم إلى العزة ، وإلى الأمن والإطمئنان النفسى والإجتماعى .. وإلى سعادتهم دنيويا وأخرويا .. وإذا كان كذلك فعلام نولى وجوهنا إلى أعداء الإسلام ، وما لديهم إلا الظلم والظلمات ، والفقر والضلال .. يقول عبد القادر عودة — بعد أن ذكر فضائل الإسلام — (إذا كان الإسلام هو هذا ، فما بالنا معشر المسلمين نحول وجوهنا شطر أوربا وأمريكا فنطلب منهما النور وما عنـــدهما

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : الأدب ، باب: مايجوز من الغضب .. ج ١٠ ص ٤٢٥

إلا الضلال ، ونرجو منهما الهداية وماعندهما إلا الضلال ، ونبحث عندهما عن الحق وما يعرفان إلا الباطل أو الحق متلبسا بالباطل)[١] .

العنصر الثالث : النظام الإسلامي فوق النظم الديمقراطية :

مدخل : إن النظام الإسلامي فوق النظم الديمقراطية بجميع أنواعها ، والقديمة منها والحديثة ، بل هو أجل وأسمى من كل النظم الديمقراطية وغير الديمقراطية .. وقصدت النظم الديمقرطية هنا للأسباب التالية :

(أ) أن هذه النظم أخذت ما أخذها من العالم جميعه ، ونغنى بها ، وكانت هى المثل الذى يجب أن يحتذى .

(ب) لقد فشلت النظم الاشتراكية والشيوعية ، وتهاوت عروشها فوق رءوس أصحابها فى بلادها ، فلم يجدوا بديلا سوى النظم الديمقراطية!! فولوا وجوههم إلى الديمقراطية الغربية .

(ح) إن الشرق الاسلامى فقد توازنه — عندما تخلى عن ذاتيته — وفتن بهذه النظم ، حتى قرأنا سمعنا من يقول : إن الديمقواطية : مبدأ وعقيدة ودستور ومنهاج ولا تراجع عنها[٢] .

(د) وجدت بعض الباحثين الذين نكن لهم كل تقدير ، لهم عثرات فى جريهم وراء هذه الشعارات ، وهذه النظم ، بل بعضهم أراد أن يصبغ النظام الاسلامي بأنه نظام ديمقراطى[٣] .

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية ص٣١٠، وانظر بالتفصيل شمولية الاسلام فى كتاب : الخصائص العامة للإسلام ،د/يوسف القرضاوى من ص ٩٥ : ١١٣

(٢) انظر: جريدة الأخبار ، الأربعاء ، ٣ من جمادى الآخر ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦/٢/١٢م العدد ١٠٥٢٧، ص ١

(٣) انظر: كتب كثيرة ، وكتاب كثيرون ، قالوا بديمقراطية الاسلام للدكتور محمود الخالدى ، نقض النظام الديمقراطى

وهذا مايوقع المسلمين فى حيرة ، وريبة من أمرهم ، كما يشوش على عقول الناس ، وبخاصة الشباب والباحثين .

وأود أن اركز — قبل المضى قدما — على حقيقتين أساسيتين :

الأولى : أن هذه النظم الديمقراطية المختلفة قد تتفق فى بعض مبادئها وفى إحدى مراحلها ، وفى إحدى البيئات ، وتحت ظروف معينة ، مع جزئية من جزئيات النظام الإسلامى . ولكن ليس معنى هذا أن النظام الإسلامى تحتويه النظم الديمقراطية ، أو يباح لنا أن نطلق عليه بأنه نظام ديمقراطى .. مهما تلونت تلك النظم ، وعلى أصوات أبواقها .. وأخذت مساحة عريضة من الشهرة والتطبيقات .. مع أن هذه النظم الديمقراطية قد فشلت فشلا ذريعا فى تقديم الحلول المناسبة لأصحابها .. وتمخض عنها الحروب والدمار .. وبحور من الدماء .. والإفساد والفساد ، والشذوذ الجنسى ، والأمراض الفاتكة ، والانتحار ، والقلق ، والصراع النفسى والاجتماعى وسرقة أقوات الشعوب والغدر بها ... إلخ.

الحقيقة الثانية : أن من الحقائق الثـــابتة والتى يجب أن تستقر فى الأذهان أنه لايمكن بحال من الأحوال مقارنة النظام الإسلامى بالنظم الأخرى ، ذلك لأن هناك فروقا جوهرية تمنع ذلك ، ولايقارن حق بباطل ، ويكفى أن أذكر هنا منها واحدا .

إن النظام الإسلامى مصدره ربانى ، أى أنه من عند خالق الخلق ، وهو جل ذكره أعلم بما يصلح من شأن خلقه ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير(١) .

---

(١) سورة الملك الآية ١٤

أما مصدر النظم الأخرى — ومنها النظم الديمقراطية — فهو الإنسان والإنسان كما هو معلوم — دون المصدر الربانى — واقع تحت تأثيرات مختلفة من حيث الظروف الأسرية ، والسياسية ، والبيئية ، والإجتماعية والإقتصادية ، والأديان والثقافات المتناحرة .. وماحدث بين كل هذا من صراعات متعددة ومتنوعة ، فأوقعت الإنسان فى صراعات رهيبة نفسية واجتماعية .. إلخ . وكلما جاءت دورة من هذه الصراعات ، أو مر عليها زمان أو جيل لعن السابقين عليه .. وأعمل معاول الهدم فيها ، وهكذا دواليك . وهذا أمر لاعجب فيه ، فلا بد أن يحدث هذا بين الأجيال ، ويعيشوا هكذا فى دوائر لا انتهاء لها من الصراعات المدمرة ومع التسليم أن النظام الإسلامى لجلاله وسموه لا يمكن بحال أن يقارن بأى نظم أو تشريعات من وضع البشر ، ويستحيل أن ترقى إلى النظام الإسلامى أية نظم من صنع البشر .. مع التسليم بهذا ، فليسمح لى قارىء الكريم أن أسوق هنا نموذجا مما قامت عليه النظم الديمقراطية .. جريا على مايقول به الباحثون من عقد المقارنات للبحث فقط .

مسألة السيادة :

تقرر النظم الديمقراطية[1] بمختلف مشاربها ومنازعها أن السيادة المطلقة للإرادة الشعبية ، فما يراه الشعب ويقرره ، ويوافق عليه تأخذ به تلك النظم ، سواء أكانت تلك السيادة أو الإرادة الشعبية قبيحة أم غير ذلك ، فلو رأى الشعب أن الخمر لايحوز منعها ، ولا وضع قيود على

(١) لمن أراد تعريفات متنوعة للديمقراطية فليقرأ : نظام الشورى فى الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة ، للدكتور / زكريا عبد المنعم الخطيب ص ٢٤٤ ، الديمقراطية فى الإسلام للعقاد ص ١٢ وما بعدها .

تصنيعها وترويجها، فلا بد أن تأخذ به النظم الديمقراطية ، جريا على ما ارتآه الشعب وقرره ، ومثل الخمر الزنا ، والإنتحار، والسفور، والربا والحروب ، والشذوذ الجنسي إلخ . وكلها أمور يمجها العقل السليم ، ولها أخطارها المدمرة ، وإذا كان ولابد من ذكر مثال على ذلك فلنأخذ الأخير .

الشذوذ الجنسي :

باسم الديمقراطية ، وباسم الحرية الغربية ، تقام موالب — عندهم — للشذوذ والشواذ ، ويفسح لهم المجال للتعبير عن وجودهم وممارساتهم ، وتأسيس اتحادات وجمعيات ، للدفاع عن كيانهم الإجتماعي ، والتبشير بأفكارهم ، حدث هذا في أمريكا ، وقد اعترفت عدة ولايات أمريكية بممارساتهم هذه رسميا ، وشجعهم الشعب وصفق لهم ، وهم يسيرون في مظاهرات صاخبة في قلب مدينة نيويورك ، وحماهم البوليس[1] ، وفي الحقيقة أنه لايستغرب في هذه البلدان تحت هذه النظم شيء من هذا ، فإن المسئولين — عندهم — هم الآخرون يمارسون هذه الشذوذات المقززة ، وهذا ما اعترف به صراحة عضو بمجلس العموم البريطاني ، ولنقرأ هذا النبأ (وكالة رويتر للأنباء : اعترف كريس سميت عضو مجلس العموم البريطاني بأن هناك مايزيد عن ٦٥ من الشواذ جنسيا بين أعضاء البرلمان البريطاني ، ولكنهم لا يعترفون بهذا .. وقال سميث في مؤتمر للشواذ عقد في مينا بوليس وضم أكثر من ١٠٠ من الشواذ من الشواذ من أمريكا و كندا وبريطانيا[2] ، إن الاتجاهات المضادة للشذوذ

---

(١) أنظر : جريدة الأخبار ، ٢ من ذي القعدة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦/٧/٨م العدد ٢٦٥٢ ، ص ١ .

(٢) يلاحظ أن لهم مؤتمرات ، وتكاد تأخذ الصبغة العالمية .

قد تزايدت فى بريطانيا فى السنوات الأخيرة بسبب أزمة مرض الإيدز — فقدان المناعة المكتسبة)[١] ، هذه صورة من السيادة الشعبية، والمسماه بالديمقراطية ، والتى يتغنى بها الكثيرون عندنا ، ويرغبون فى نقلها الينا، لتكون بديلا — ولو بعد حين — عن النظام الإسلامى .

أما فى الإسلام فإن السيادة المطلقة هى للشرع ، وليست للشعب ، ولا بد أن يستسلم للشرع ، وهذا هو دوره ، فما أمره شرع الله تعالى وجب الخضوع له ، ومانهى عنه شرع الله تعالى وجب الإبتعاد عنه ، بل وعدم الإقتراب منه .. وغنى عن البيان بأن الشرع من عند الله تبارك وتعالى ، وهو جل ذكره ماشرع للناس إلا مايصلح من شأنهم فى كل مجالات الحياة ، ومايسعدهم فى الدنيا والآخرة ، ووجوب الإنقياد والاستسلام لشرع الله تعالى أدلة كثيرة[٢] .

أما عن المثال الذى سقته — الشذوذ الجنسى — فإن حكم الشرع فيه واضح ، فالإسلام قد حرمه تحريما قاطعا ، وعذب الله تبارك وتعالى من أتوه أشد وأفظع أنواع العذاب ، وأرسل الله تبارك وتعالى نبيا من أنبيائه ليرشد قومه إلى الطريق السوى — الزواج — ويوضح لهم اضرار وسوء عاقبة من اقترف هذه الفاحشة ، فلما أبوا وعتوا ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، أنزل بهم أفظع أنواع الهلاك والدمار، ليكونوا عبرة للأجيال اللاحقة ، وقد ذكر الله تعالى هذا فى آيات كثيرة فى الذكر الحكيم منها «ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد

---

(١) جريدة الأخبار ، ٢ من ربيع الثانى ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧/١١/٢٤ م العدد ١١٠٨٤ ص ١ .

(٢) راجع النصوص المذكورة — فى هذا البحث — تحت عنوان الذاتية الإسلامية .

من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال سورة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ، وما كان جواب قدمه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ، فأنجيناه وأهله إلا إمرأته لأنت من الغابرين ، وأمرنا عليهم مطرا فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين »(١) . وقال تعالى فى عقابهم كذلك « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومه عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد »(٢) . وقد جاءت أحاديث شريفة كثيرة تبين مدى سخط الله تبارك وتعالى على من يقترفون هذه الفاحشة ، وحذر رسول الإسلام منها تحذيراً عنيفا منها : « عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أخوف ما أخاف على أمتى من عمل قوم لوط »(٣) . والإسلام عندما قرر أن من محرماته هذه الفاحشة ، إنما حرمها رحمه بالإنسانية ، وذلك تخوفا عليها من الأمراض الفاتكة بالإنسان ، وتدمير المجتمع الدولى(٤) .

وعلى هذا فلو اجتمع الشعب وإرادته على حل اللواط ، وجواز ممارسته ، فإن هذه الإرادة الشعبية تكون خاطئة ، بعيدة كل البعد عن

---

(١) سورة الأعراف الآيات من ٨٠ — ٨٤

(٢) سورة هود الآيتان ٨١ ، ٨٢

(٣) رواه ابن ماجه فى كتاب : الحدود ، باب : من يعمل عمل قوم لوط ، جـ ١٢ صـ ٨٥٦ ، دار إحياء التراث العربى .

(٤) أنظر أخطار هذه الفاحشة هذه الكتب : زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ، جـ ٣ صـ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ومسئولية التربية الجنسية من وجهة نظر الإسلام ، للأستاذ / عبد الله علوان صـ ٧١ ، ٨٢ ، دار السلام ، فقه السنة للشيخ سيد سابق جـ ٩ صـ ١٠٢ وما بعدها ، والإسلام والجنس للأستاذ / فتحى يكن صـ ٥٢ ، الإيدز ، د/ رفت كمال صـ ١٤ ، كتاب الطب اليوم .

الصواب ، ومن ثم فلا يجوز بحال الأخذ بها ، وعلى هذا يجب إتباع ما جاء به الشرع ، ونبذ ما قال به الشعب .

خاتمـــة :

وهكذا يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ..

وعلى أمتنا أن تختار الحياة الراشدة فى ظل الإسلام الحنيف . .

والأمل كبير أن تواصل سيرها على هداه . . وكل الدلائل من حولنا تشير إلى ذلك ..

وفق الله لعالى حكام المسلمين إلى العمل بشرع الله تعالى ليعود بنا ، ونعود به إلى مكان الصدارة . . ولنؤكد للأمم أننا حقا .. خير أمة أخرجت للناس .

الدكتور / محمد رمزى أحمد فواز
المدرس بقسم الدعوة بالكلية